آراء وافكار

بحث في اللغة

نشرت جريدة الاهرام في عدد ١٠ شباط ١٩٣٦ بحثاً لغوياً ممتعاً لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر نلخصه حرصاً على مافيه من الكلم الطيب .

قال فضيلته :

اللغة اصوات موضوعة للدلالة على المقاصد والاغراض، ولا يختص الانسان بالدلالة بهذه الاصوات على مقاصده واغراضه ، بل يشاركه الحيوان الاعجم في هذا ، فتعبر الحيوانات عن مقاصدها واغراضها باصواتها ، ولكل نوع من الحيوان اصوات خاصة للتعبير عن اغراضه .

والقرآن الكريم شاهد على هذا ، فقد فهم سليمان عليه السلام قول النملة : « يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب اوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ » .

وفهم قول الهدهد « احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين » . فقال له : « سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين » .

والذين يقومون على أنواع الحيوان بسياستها وترويضها وتغذيتها يفهمون كثيراً من أصواتها ، واصوات الحيوان الاعجم الدالة على اغراضه قليلة بمقدار تلك الاغراض التي لا تعدو على الأكثر حاجة الطعام والماء والشكوى من الألم ، والفرح بالوصول الى شيء مشتهى ، والحنو على النسل ، والاستغاثة عند الفزع ، ولكن اغراض الانسان غير واقفة عند غاية ، فلذلك كانت الاصوات الدالة على اغراضه غير واقفة عند حد ، واحتاج الى نوعات كثيرة في الاصوات ، واحتاج الى المحاكاة ، فحاكى اصوات الحيوان على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اختلاف انواعه ، واصوات الرياح ، والرعد ، والمطر ، واصوات اصطكاك الأجسام بعضها ببعض واحتاج الى التشبيه والى المجاز والكناية ، واحتاج الى المشتركات .

ونشأ من التفاهم بهذه الأصوات كلها تلك اللغات التي يعرفها العالم على اختلاف أممه .

وليس من الميسور الاهتداء إلى معرفة أول أنواع الكلم التي استعملها الانسان ، أهي الموصولات ، أم الضمائر ، ام اسماء الاشارة ، أم غير ذلك . ولكن مما لا شبهة فيه انه استعمل الكلمات الدالة على ضروريات حياته وعلى ما هو ملازم له من المحسوسات ، ثم صارت لغته تزيد وتنمو تبعاً لزيادة حاجاته ونموها ، وتبعاً لرقي أفكاره ومشاعره . وعلماء اللغات يقولون : إن هناك الفاظاً كثيرة توجد في جميع اللغات وإن تفاوتت اللغات فيها تفاوتاً يسيراً

ومن ذلك الألفاظ الدالة على الأب ، والأم ، والطعام ، والاعطاء ، والقطع ، والكون ، والنفي ، والإثبات ، والاله . ومنها الفاظ الضمائر ، وعلى الجملة الألفاظ الدالة على المقاصد الضرورية التي احتاج الانسان اليها أول أمره ، وقد تمكنوا بواسطة علم مقابلة اللغات من تقسيمها الى انواع وفصائل ، وهم طامعون في الظفر برد جميع ما ينطق به البشر إلى أصول قليلة ، واثبات أن كل ما جاء بعد ذلك إنما هو تنوعات وذراري للأصول .

واللغة العربية من اللغات المتصرفة ، ثم انها من أغنى اللغات كلماً ، وأدقها تصويراً ، وأوضحها تعبيراً ، وأجملها بياناً ، واكثرها افتناناً ، وأوسعها مذهباً . فيها المجاز في النسبة والمجاز في المفردات ، والمجاز في المركبات ، وفيها التشبيه والكناية ، وفيها القياس يجري مطرداً في التصاريف على أرجح الآراء ، وهي واسعة الصدر للدخيل ، ما ان تراه حتى تخلع عليه ثوباً من ثيابها ، وترده إلى أوزانها ، وتتخذه ولداً من أولادها ، تعامله معاملتها ، فتشتق منه وتتصرف فيه وقد وسعت جميع الأغراض التي قالها البشر : من نسيب وحماس ، ومدح وهجاء ، وترغيب وترهيب ، وحكمة وأخلاق ، وتشريع وطب وهندسة وغير هذا من سائر العلوم والفنون

وقد حملت حكمة يونان ، وأدب فارس ، وتصوف الهند ، واستطاعت أن تؤدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أمانة الوحي الإلهي ، بل استطاعت أن تؤديه على وجه الاعجاز ، وأن تؤدي حكمة الأنبياء وذوق الأولياء والأصفياء .

وقد كانت العربية في بقعة ضيقة من الأرض محصورة في جزيرة العرب لا تعدوها إلى جهة اخرى ، فلما جاء الإسلام وامتد الفتح أخذت تسيح في الأرض حتى عمت بلاد الحضارة في تلك الحقبة ، وجابت الهند والصين وإفريقية إلى أوروبا ، وما بقاء الحروف العربية في لغة الفرس والترك وبعض لغات الهند إلا اثر ناطق بسعة انتشارها وقوتها

وقد كان نزول القرآن الكريم باللغة العربية اقوى سبب ساعد على انتشارها وبقائها واقوى حافز للعلماء لوضع علوم العربية والبحث في مفرداتها وتراكيبها على وجوه شتى من البحث

وذلك ان القرآن الكريم عربي الأصل والنظم ، عربي الكلم ، فيجب أن يفهم على اساليب لغات العرب ، وان تراعى في فهمه عقلية العرب وعاداتهم ولذلك جد العلماء للبحث عن كل ماهو عربي: من شعر ونثر ، وكلم ومعارف ، وعقائد واخلاق وعادات ، واختصت كل طائفة من العلماء بناحية من تلك النواحي .

فمنهم من شمر لتسجيل المفردات ، ومنهم من وضع علم اواخر الكلم والابنية ، ومنهم من وضع علم طرق الدلالات ، ومنهم من وضع علم الإصابة في توخي وجوه النحو ، ومنهم من توفر لتاريخ العرب وآدابها ، إلى غير ذلك من فنون العربية المختلفة

فعل العلماء ذلك خدمة للكتاب الكريم وخدمة للسنة المطهرة ، فخدموا اللغة واظهروا ما فيها من جمال وقوة ، ومن سحر وفتنة . فجزاهم الله عن الدين والعلم خير الجزاء .

* * *